

الفروق في علوم القرآن الكريم - دراسة نظرية تطبيقية

فهد بن صالح القحيز

طالب دكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية

Guhais22@gmail.com

تاريخ تسلم البحث: ٢٠/٣/٢٠٢٥ م

تاريخ قبول البحث: ٨/٤/٢٠٢٥ م

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الفروق في علوم القرآن الكريم دراسةً تأصيلية تطبيقية، ففي كتب علوم القرآن بعض المصطلحات والمسائل والقواعد التي تشابه في ظاهرها، وفي حقيقتها اختلاف أو تداخل، فيحتاج معها إلى فصل وتمييز. ومن أبرز أهداف البحث: الربط بين التأصيل والتطبيق في بيان هذه الفروق. ومنهج هذا البحث: يقوم على الاستقراء والاستنباط. ومن أهم نتائج البحث: ضبط وتحرير هذه المصطلحات والمسائل والألفاظ، ويوصي الباحث بتدريس علم الفروق في علوم القرآن في مراحل الدراسات العليا، ومد بساط هذا العلم لفتح أبواب المشاريع العلمية للبحث فيه.

الكلمات المفتاحية: الفروق في القرآن، فروق المصطلحات، مصطلحات القرآن، الفروق.

The Differences in the Sciences of the Holy Quran – A Theoretical and Applied Study

Fahad ben Saleh Al-Quhaiz

PhD student

Current job: Teacher at Sheikh Abdulaziz bin Baz School for
Qur'an Memorization

Saudi Arabia

Guhais22@gmail.com

Date of Receiving the Research: 20/3/2025 Research Acceptance Date: 8/4/2025

Abstract:

This research is concerned with studying the differences in the sciences of the Holy Qur'an in a rooting and applied study. In the books of the sciences of the Qur'an, there are some terms, issues, and rules that are similar in appearance, but in reality there is a difference or overlap that needs to be separated and discriminated. One of the most prominent objectives of the research is to link between rooting and application in clarifying these differences. The approach of this research: is based on induction and deduction. Among the most important results of the research is to control and edit these terms, issues, and vocabularies. The researcher recommends teaching the science of differences in the sciences of the Qur'an in the stages of graduate studies, and extending the scope of this science to open the doors to scientific projects for research into it.

Keywords: differences in the Qur'an, differences in terms, terminology of the Qur'an, differences.



مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن الاشتغال بالقرآن الكريم من أعظم الطاعات وأجل القربات، ولهذا اهتم العلماء -من عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا- بالقرآن الكريم، وبكل ما يقرب إليه من علوم وموضوعات، فكتبوا في هذا الميدان الفسيح، واجتهدوا في مد بساطه، فتنامت علوم القرآن وزادت جيلاً بعد جيل، وصارت بحاجة إلى تحرير وتحليل؛ لأنه كلما كثر علم الإنسان بداله تشابه في بعض الأشياء التي علمها مما يحتاج معه إلى معرفة الفرق بينها.

ولهذا وجد لعلماء علوم القرآن كتابات متنوعة في ذكر الفروق بين أنواع علوم القرآن ومسائله، تستحق أن يقف عندها الباحث، ويدرسها دراسة تأصيل وتمثيل، فجاء هذا البحث بعنوان: "الفروق في علوم القرآن الكريم - دراسة نظرية تطبيقية -"، وبالله التوفيق.

مشكلة البحث:

يوجد في كثير من كتب علوم القرآن الكريم مسائل ومصطلحات علمية وألفاظ مبثوثة ظاهرها الاتفاق في المعاني، وباطنها الاختلاف والافتراق، مما تحتاج معه إلى دراسة شاملة لتلك المسائل والمصطلحات، والتفريق بينها.

أهمية الموضوع:

- المكانة العالية لعلم الفروق في سائر الفنون، وفي علوم القرآن على وجه الخصوص، ذلك أن بعض المصطلحات والمفاهيم قد يرد عليها بعض التداخل والتشابه، مما يستلزم في حقها التمييز والتفريق.
- الوصول إلى الهدف الأسمى، الذي يطمح إليه طالب الدراسات القرآنية، وهو: الفهم الصحيح لكتاب الله، وذلك عن طريق ضبط وتحرير مسائل علوم القرآن، والتمييز بين المشتبه منها.
- أن جمع المفاهيم المتشابهة -في علوم القرآن- وعدم التفريق بينها، ينتج عنه فهم خاطئ لكلام الله ﷻ، فتزل به الأقدام وتضل بسببه الأفهام.
- أن المقارنة بين التشابهات، والتمييز بينها، يُكسب الطالب تفتيق الذهن، وقوة الملاحظة.

أهداف البحث:

- التعريف بعلم الفروق في علوم القرآن الكريم، وبيان أبرز مبادئه.

٢. دراسة الفروق المتعلقة بعلوم القرآن؛ أسوة بالفنون الأخرى كالفقه وأصوله واللغة وغيرها.

٣. تحرير الفرق بين مسائل علوم القرآن الكريم ومصطلحاته التي ظاهرها التشابه.

٤. الربط بين التأصيل والتطبيق في علوم القرآن الكريم، من خلال بيان الفروق، ودراستها، والحكم عليها.

حدود البحث:

سيكون البحث في دراسة علم الفروق في علوم القرآن الكريم دراسةً تجمع بين التنظير والتطبيق، ويكون التطبيق من خلال الفروق الماثرة في كتب علوم القرآن فيما يتعلق بالمصطلحات والمسائل، منذ نشأت هذه الكتب حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري، وذلك في جميع أنواع علوم القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

تم البحث عن دراسة سابقة في الموضوع، وطُرق أبوابه المعهودة، فلم أجد ما يتحقق فيه الشرط بأنه دراسة سابقة توافق أصل الفكرة وحقيقة معناها، ولكن وجدت بعض الكتابات التي تشارك في بعض الجوانب والجزئيات، ومن ذلك ما يلي:

١. (التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل) تأليف: حامد بن علي بن عبد الرحمن العمادي (١١٧١هـ)، تحقيق: د. حازم سعيد البياتي، نشر: مجلة الأحمدية - دبي، العدد: الخامس عشر ١٤٢٤هـ. وهو عبارة عن بحث في (٢٥) صفحة تقريباً، ذكر المؤلف -رحمه الله- معنى علم التفسير لغة واصطلاحاً، وغايته وموضوعه، ومعنى التأويل، ثم شرع في التفريق بينهما، ناقلاً أقوال السلف في ذلك. ولا يوجد بين بحثي وبين هذا الكتاب إلا في مصطلح واحد فقط، وهو: الفرق بين التفسير وبين التأويل.

٢. (مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر) تأليف: أ.د. مساعد الطيار، وهذا البحث -كما هو ظاهر من عنوانه- محصور في مصطلحات محددة، وأما في هذا البحث فهو شامل -إن شاء الله- لجميع الفروق الواردة في علوم القرآن.

٣. (مباحث الفروق في التفسير وعلوم القرآن الكريم: تعريفها، أهميتها، مجالاتها، التأليف فيها) إعداد: أ.د. عبدالسلام الجار الله، وهو بحث محكم في (٩٠) صفحة، نشرته مجلة الدراسات القرآنية، في عددها الثامن. ويختلف عن بحثي من جوانب:

- الأول: أن بحثه يعتبر دراسة وصفية عامة، دون الاختصار على ذكر الفروق في جزئية محددة، وأما هذا البحث فهو: دراسة استقرائية تفصيلية.
- الثاني: أن الفروق المذكورة في بحثه تعتبر نماذج. وأما في هذا البحث فأرجو أن تكون الفروق فيها شاملة في جميع المسائل والجزئيات.
- الثالث: يعتبر بحثه تأصيلي ومدخل للفروق في علوم القرآن الكريم، وأما في هذا البحث فالمرجو - إن شاء الله - أن يجمع بين التأصيل والتفصيل مع التمثيل.
٤. (الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم) رسالة ماجستير: أ. د. محمد الشايع. وموضوع هذا البحث - كما نص عليه مؤلفه - "لغوي في أصوله وأساسه" (١). وفيه التأصيل في قضية وقوع الترادف في القرآن الكريم، وموقف علماء الأصول والتفسير والعربية منه، ودراسة لأربعة عشر مثلاً من القرآن ظاهرها الترادف.
٥. (دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني) رسالة دكتوراه للباحث: د. محمد الدوري. والرسالة في جانب اللغة العربية، وأغلبها في ألفاظ القرآن التي ظاهرها الترادف، وبيان الفرق بينها.
٦. (الفروق اللغوية في تفسير الكلمات القرآنية) جمع وترتيب: علي فهمي الزهبي، نشر: الدار العالمية - الإسكندرية، الطبعة الأولى (١٤٣٤هـ)، وأوراق الكتاب ٢٧٢ ورقة تقريباً. والكتاب من أوله إلى آخره دراسة تطبيقية لتفسير ألفاظ وكلمات قرآنية ظاهرها الترادف والتشابه.
٧. (الفروق اللغوية بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله في القرآن الكريم) بحث محكم في (٤٥) صفحة تقريباً، نشرته مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية: العدد الثالث، سنة (١٤٢٨هـ) للباحث: د. محمود الأطرش. تناول فيه الفروق اللغوية بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله في القرآن، مبيناً المعنى الدقيق لها.

(١) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد الشايع، (ص ٩).

وهذه الدراسات الأربع الأخيرة لا تتوافق مع ما في هذا البحث؛ لأنها في مجال واحد من مجالات الفروق، وهو فروق ألفاظ وكلمات القرآن، وأما هذا البحث فهو يتناول مصطلحات ومسائل في كتب علوم القرآن، ظاهرها التشابه وحقيقتها الاختلاف.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وبخطين، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:
المقدمة: وفيها الاستهلال، وبيان مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، وعرض الدراسات السابقة، والمنهج المتبع في كتابته.

المبحث الأول: معنى الفروق في علوم القرآن الكريم، وأهميته، ونشأته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الفروق في علوم القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية الفروق في علوم القرآن الكريم.

المطلب الثالث: نشأة علم الفروق في علوم القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أنواع الفروق في علوم القرآن الكريم، وأسبابها، وضوابطها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع الفروق في علوم القرآن الكريم، ومجالاتها.

المطلب الثاني: أسباب الفروق في علوم القرآن الكريم، ودواعيها.

المطلب الثالث: ضوابط الفروق في علوم القرآن الكريم، وطريقة التفريق بين المتشابهات.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: معنى الفروق في علوم القرآن الكريم، وأهميته، ونشأته:

المطلب الأول: معنى الفروق في علوم القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً.

أولاً: التعريف بالفروق في اللغة: جمع (فرق)، وهو يأتي بمعنى: الفصل، يقال: فَرَّقْتُ بين الشيء فَرْقًا. أي: فَصَلْتُ أبعاضه^(٢)، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه في بيان معنى قوله تعالى: ﴿فَأَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٥]، أي: "افصل بيننا وبينهم"^(٣).

ويأتي الفرق بمعنى: البيان، يقال: فَرَّقَ لي هذا الأمر يَفْرُقُ فُرُوقًا إذا تَبَيَّنَ ووضَحَ^(٤). ومنه ما جاء في تفسير أبي ابن كعب رضي الله عنه، أنه قرأ: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٦] -بتخفيف الراء- فقال: "بَيَّنَّاهُ"^(٥). وقال الشيخ ابن عاشور^(٦): "ويطلق الفرق على البيان؛ لأن البيان يشبه تفريق الأشياء المختلطة"^(٧).

وفَرَّقَ لي رأيي، أي: بَدَأَ وظَهَرَ. ومن ذلك: قول ابن عباس رضي الله عنه -حينما استشاره ابن الزبير رضي الله عنه في إصلاح الكعبة-: "فإني قد فَرَّقَ لي رأيي فيها"^(٨). وفي بعض الروايات: "فَرَّقَ" -على ما لم يُسَمَّ فاعله-^(٩).

(٢) ينظر: المصباح المنير، أحمد الفيومي، (ص ٣٨٢).

(٣) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، كلاهما من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، كما في: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي، (٢/ ٢٥٢)، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (٣/ ٧٤٧).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، (٩/ ١٠٨)، ولسان العرب، لابن منظور، (١٠/ ٣٠٦).

(٥) أخرجه ابن جرير، من طريقه، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١٥/ ١١٤).

(٦) هو: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مات سنة: ألف وثلاث مئة وثلاث وتسعين. ينظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ١٧٤)، ومقدمة تحقيق كتاب: مقاصد الشريعة الإسلامية، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ص ١٣).

(٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١٥/ ٢٣١).

(٨) أخرجه مسلم، كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها (رقم ١٣٣٣).

(٩) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (١٠/ ٣٠٧-٣٠٦).

ولهذا قال العلامة ابن فارس (١٠): "الفاء والراء والقاف أُصِلَّ صحيحٌ يدلُّ على تمييز وتزييل بين شيئين. من ذلك الفرق: فرق الشعر. يقال: فرَّقته فرَقًا" (١١). ويستفاد من هذا القول أمران:

الأول: أن مادة الكلمة (فرَّق) تدل على معانٍ متعددة ترجع في جملتها إلى معنى المباينة، والبيان، والتمييز، والفصل بين شيئين، وغيرها، وهذه المعاني تتضمن أمورًا ثلاثة: وجود شيئين، ووقوع اشتباهٍ بينهما، والقيام بالفصل والتمييز بين هذين الشيئين المشتبهين (١٢).

الثاني: في قوله: "أُصِلَّ" بالتصغير، إشارة إلى أن هناك كلمات متداولة في العربية قد شذت في معناها عن هذا الباب، ومن ذلك: الفرق - بفتح الراء أو تسكينه -: مِكْيَالٌ ضخَمٌ لأهل المدينة، والفَرِيقَةُ: تمرُّ يطْبَحُ بِحُلْبَةٍ يُتَدَاوَى بِهِ. والفَرَوَقَةُ: شَحْمُ الْكُلَيْتَيْنِ. والفَرُوقُ: موضعٌ (١٣).

ثانيًا: تعريف الفروق في علوم القرآن اصطلاحًا باعتباره علمًا على ذلك الفن الخاص به:

لم أجد لأحد من العلماء المتقدمين تعريفًا لهذا الفن بهذا الاعتبار، وإنما يوجد لهم تعريفٌ أو وصفٌ ونحوهما لأفراد من هذه العلوم التي تندرج - في حقيقتها - تحت مسمى الفروق، ومن ذلك قول الحافظ ابن قتيبة (١٤)، في وصف أحد علوم القرآن وهو المشكل أو المتشابه -الذي

(١٠) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، أبو الحسين القزويني، العلامة، اللغوي، المحدث، المالكي، نزيل همدان، كان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقهِ مالك، مناظرًا متكلمًا على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، له مصنفات ورسائل، توفي سنة خمس وتسعين وثلاث مئة. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (١/ ٤١٠)، وسير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، (١٧/ ١٠٣).

(١١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (٤/ ٤٩٣).

(١٢) المدخل إلى الفروق الأصولية، محمد الجيزاني، (ص ٢٣).

(١٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (٤/ ٤٩٤)، ولسان العرب، لابن منظور، (١٠/ ٣٠٥).

(١٤) هو: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف، من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة، مات فجأة في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومائتين. ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١١/ ٤١١)، وسير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، (١٣/ ٣٩٦).

يقابل المُحكّم:- "وأصل التشابه: أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، قال الله -جل وعز- في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥]، أي متَّفَقَ المناظر، مختلف الطُّعوم. وقال: ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١١٨]، أي يشبه بعضها بعضًا في الكفر والقسوة. ومنه يقال: اشتبه عليٌّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تُفَرِّق بينهما، وشَبَّهَتْ عليٌّ: إذا لبَّستَ الحقَّ بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المخاريق^(١٥) أصحاب الشُّبه؛ لأنهم يُشَبِّهون الباطل بالحق. ثم قد يقال لكلِّ ما غمُض ودقٌّ: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشُّبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطَّعة في أوائل السُّور: متشابه، وليس الشك فيها، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها بها" (١٦).

وقول الحافظ ابن الجوزي^(١٧) في معنى الوجوه والنظائر: "أن تكون الكلمة واحدة، ذُكرت في مواضع من القرآن على لفظٍ واحدٍ، وحركةٍ واحدةٍ، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذُكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه" (١٨).

هذه بعض المعاني عند العلماء المتقدمين، وهي لجوانب من علوم القرآن الكريم، تتعلق - غالبها- بالألفاظ القرآنية، وهذه المعاني يمكن إدخالها ضمن مصطلح الفروق في علوم القرآن الكريم.

وأما معناه بالمفهوم الشامل -بحسب ما ظهر بعد البحث- فهذا مما لم يُنقل فيه شيء عن أهل العلم المتقدمين -ممن صنَّف أو اشتغل بعلوم القرآن الكريم-، ولعل السبب في هذا أن

(١٥) أصحاب المخاريق هم: أهل الاختراق والاختلاق أي: الكذب، يقال: خلق الكلمة واختلقها، وخرقها واخترقها: إذا ابتدعها كذبًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَرِّفُوا لَمْ يَبَيِّنْ وَبَيَّنَّ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠]. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، (٢٢/٧).

(١٦) تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، (ص ١٠١-١٠٢).

(١٧) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي، أبو الفرج ابن الجوزي، الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب، صاحب التصانيف المشهورة، مات سنة سبع وتسعين وخمس مئة. ينظر: سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، (٣٦٥/٢١)، والذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (٢/٤٥٨).

(١٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن الجوزي، (ص ٨٣).

الفروق جاءت مبثوثة في مصنفات علوم القرآن، أي لم يكن بحث الفروق موجوداً بصورة مستقلة، وإنما وجدت تعريفه بهذا المفهوم عند أحد الباحثين المعاصرين^(١٩)، حيث يقول - وفقه الله -: "المقصود بالفروق في التفسير وعلوم القرآن: بيان أوجه الاختلاف في اللفظ أو المعنى أو الحكم بين الأشياء المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه، التي يقع بينها اشتباه أو اشتراك في شيء ما"^(٢٠). وهو تعريف شاملٌ دقيقٌ، حاز به قصب السبق، لولا ما فيه من التطويل الذي يُعذر فيه المعرّف - حفظه الله -؛ لكونه أول من عرّف ذلك بشكل عام.

ويمكن للباحث أن يعرّف الفروق في علوم القرآن الكريم بتعريفٍ قائمٍ على اعتبار مجالات الفروق في علوم القرآن فيقال: إثارة الاختلاف فيما فيه اشتباهٌ من المسائل والمصطلحات والقواعد المتعلقة بالقرآن الكريم.

فقول الباحث: (إثارة) ولم يقل غيرها؛ لأن الأصل في التفريق أن يكون فيما يخفى ويدق عن الأنظار، فناسب ذكر (الإثارة) كأنه شيء لم ينتبه له فأثير، ومن معاني الإثارة في معاجم اللغة العربية: البحث والتنقيب عن الشيء؛ ليصل إلى مراده، وكل شيء استخرجته فقد أثرتْه إثارةً وإثارةً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَثَرُوا الْأَرْضَ﴾ [سورة الروم: ٩]، فالإثارة: تحريك أجزاء الشيء المستقر، ورفعها وقبّله بعد استقراره^(٢١).

ومما هو داخل في هذا المعنى -أيضاً- قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين". وفي لفظ: "من أراد العلم فليثور القرآن"^(٢٢).

(١٩) هو الأستاذ الدكتور: عبدالسلام بن صالح الجارالله، الأستاذ بقسم الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود.
(٢٠) مباحث الفروق في التفسير وعلوم القرآن (ص ٣٥٢).
(٢١) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، (١١٠ / ١٥)، ولسان العرب، لابن منظور، (١١٠ / ٤)، والتحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، (٥٧ / ٢١).
(٢٢) أخرجه مسدد، في مسنده - كما في المطالب العالية (١٣ / ١٧) -، والطبراني، في المعجم الكبير (٩ / ١٤٦)، وابن المبارك، في الزهد (ص ٢٨٠)، وأبو عبيد، في فضائل القرآن (ص ٩٦)، وسعيد بن منصور، في سننه (٧ / ١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٤٧): "رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح".

وقول: (الاختلاف) هذا وجه التفريق، وهو إثارة الاختلاف على وجه يمنع التسوية.
وقول: (فيما فيه اشتباه) هذا أصل المعنى وأساس النظر في هذا العلم؛ إذ يكون فيما فيه اشتباه، فلا يدخل في هذا العلم واضحات المسائل ونحوها.
وقول: (من المسائل والمصطلحات والقواعد المتعلقة بالقرآن الكريم) هذا تقييد لمجالات الاشتباه التي هي محل البحث العلمي في علوم القرآن الكريم، وهي المسائل والمصطلحات والقواعد، وما عدا ذلك - مما قد يورد ويحتاج إلى تفريق - فلا يخرج عما تقدم.

المطلب الثاني: أهمية الفروق في علوم القرآن الكريم.

علم الفروق علمٌ عظيمٌ، وفنٌ دقيقٌ، يحتاجه كل عالم وباحث في مجال الدراسات الشرعية، والتي من بينها علوم القرآن الكريم، وفيما يلي إبراز أهمية الفروق في علوم القرآن الكريم مشوبةً بفوائده، ومُدعَمةً بأقوال أهل العلم بحسب المستطاع، وذلك بذكر بعضها من خلال النقاط التالية:

١. علم الفروق بالنسبة إلى سائر العلوم بمثابة البصر لجسد الإنسان، فهو من أساسياتها التي لا غنى لها عنه، ولهذا يقول العلامة نجم الدين الطوفي رحمته الله: "واعلم أن الفرق من عُمَد الفقه وغيره من العلوم" (٢٣).
٢. ترتبط أهمية علم الفروق في علوم القرآن بأهمية موضوعه الذي يؤول - في الأصل - إلى كتاب الله ﷻ، فعِلْمُ الفروق هنا مرتبط بالأبحاث المتصلة بالقرآن العظيم الذي هو أساس علوم الإسلام، ومدار الحلال والحرام، فعليه يكون علم الفروق في علوم القرآن شريفاً بشرف معلومه، يقول العلامة الزركشي رحمته الله (٢٤): "وكل علم من العلوم مُتَنَزِعٌ من القرآن، وإلا فليس له بُرْهان" (٢٥).

(٢٣) علم الجدل في علم الجدل، نجم الدين الطوفي، (ص ٧١).

(٢٤) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين، أبو عبد الله المصري، كان فقيهاً أصولياً أديباً، مات سنة: أربع وتسعين وسبع مئة. ينظر: طبقات الشافعية، أحمد بن قاضي شهبه، (٣/ ١٦٧)، والدرر الكامنة، أحمد بن حجر، (٣/ ٣٩٧).

(٢٥) البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، (١/ ١٠٠).

٣. أن علم الفروق يوصل إلى غاية شريفة وهدف نبيل، وهو ضبط وتحرير المسائل والألفاظ حتى لا تشبه بغيرها، وهذا من أصول شريعة الإسلام ومبانيها العظام، فإنه من المنصوص عليه في الكتاب والسنة، والمتقرر عند أهل العلم وأصحاب الفطر السليمة، والمستفيض في كتب المقاصد ودواوين الإسلام = التسوية بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، وإلحاق النظر بنظيره، وعدم تسوية أحد المختلفين بالآخر. قال العلامة ابن القيم رحمته الله (٢٦): "وقد رَكَزَ الله في فِطْرَةِ الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكارَ التفريق بينهما، والفرق بين المختلفين وإنكارَ الجمع بينهما. قالوا -القائلون بالقياس-: ومَدَارُ الاستدلال جميعه على التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين" (٢٧).

٤. ولو لم يكن في أهمية الفروق في علوم القرآن الكريم إلا أن الله ﷻ سَمَّى كتابه (الفرقان) لكفى بذلك منزلة، ومع ذلك سميت سورة منه بهذا الاسم أيضًا! والتسمية بذلك واضح الدلالة؛ فإن هذا الكتاب ما نزل إلا للفرقة بين الملتبسات، وتمييز الحق من الباطل؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [سورة الأنفال: ٤٢]. "فلا يكون لأحد على الله حجة" (٢٨). فكلام الله ﷻ يفرِّق في العلم والاعتقاد بين الإيمان والكفر والحق والباطل، وفي الأحكام بين العدل والجور، وفي الأعمال بين الصحيح والفساد والخير والشر (٢٩).

٥. ومما يبرز أهمية علم الفروق ويُعلي شأنه ما يتضمنه من فوائد عديدة، وحقائق سديدة، تبين غرضه وتوضح أثره، ومن ذلك ما يلي:

(٢٦) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حَرِيز الزُّرْعِي، أبو عبدالله الدمشقي، العلامة شمس الدين الحنبلي، المعروف بابن قَيِّم الجوزية، تفنن في علوم الإسلام، مات سنة إحدى وخمسين وسبع مئة. ينظر: المعجم المختص بالمحدثين، لمحمد بن أحمد الذهبي، (ص ٢٦٩)، والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، (١٩٥/٢).

(٢٧) أعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن قَيِّم الجوزية، (١/ ٢٧٨).

(٢٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (١٣/ ٣٢٩).

(٢٩) تفسير القرآن الحكيم، الشهير باسم: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٩/ ٦٤٨).

أ. أن المقارنة بين المشتبهات، والتمييز بينها، يُكسب الطالب تفتيق الذهن، وقوة الملاحظة.

ب. أن العلم بالفروق في علوم القرآن الكريم من أهم أسباب حصول المَلَكَة لفهم كلام الله ﷻ، فمن عرف الفرق في ذلك صار عنده أداة يمكن بواسطتها استنباط المعاني القرآنية، واختيارُ الأقوال المختلفة في التفسير.

ج. أن في تعلم الفروق في علوم القرآن الكريم تحصيلًا للأجر والثوبة من الله ﷻ، لأن في دراسة هذا الفن نوع اشتغال بكتاب الله ﷻ، ففيه إعانة على تدبر القرآن، وتفهم معانيه، ومعرفة التشابه اللفظي، وما يلتبس على حفاظ القرآن الكريم، وفيه ما يساعد المعني بالتفسير الموضوعي، الذي يختار موضوعًا معينًا من المواضيع المبثوثة في القرآن الكريم.

د. إزالة اللبس الذي قد يطرأ عند النظر في المصطلحات والألفاظ التي ظاهرها التشابه وحقيقتها الاختلاف؛ فيرفع المشكل، ويدفع الموهم، ويوضح المشتبه.

هـ. الرد على الملحدّين وغيرهم من الطاعنين في كتاب الله ﷻ الذين يزعمون أن آياته المتشابهة أو المكررة دليل على تعارضٍ وخللٍ في الأسلوب -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-.

و. في علم الفروق في علوم القرآن الكريم -لأسيما الفروق بين الألفاظ القرآنية- إحياء لمعانٍ دقيقة، قد ينبني على التفريق بينها أحكام فقهية.

ز. أن علم الفروق يكشف وجهًا من وجوه الإعجاز في الكتاب العزيز.

ح. في علم الفروق في علوم القرآن الكريم استقراء تام، ودراسة لأبواب علوم القرآن الكريم.

فالحاصل أن علم الفروق له فوائد عديدة، ويُقدّم خدمةً جليّةً لكتاب الله ﷻ، ينالُ صاحبُها والباحث فيه -بإذن الله- الأجور العظيمة، مع ما يمنحه الله له من الهبات والبركات، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

المطلب الثالث: نشأة علم الفروق في علوم القرآن الكريم.

لعله من الممكن أن يقال: بأن نشأة الفروق مرتبطة بنشأة علوم القرآن الكريم، وبداية علوم القرآن مرتبطة ببواكير الوحي حينما نزل به جبريل ' على نبينا محمد ' في غار حراء، فحفظ النبي ' القرآن، وقرأه على الناس على مكث، وبيّن لأصحابه ﷺ ما أشكل عليهم من ألفاظه ومعانيه، وفرّق ' بين جملة من أحكامه، ولذا قال أبو الربيع الطُّوفِي: "والنبي ﷺ أول من بيّن العلل والمآخذ والفروق" (٣٠).

وقد نُقِلَ عنه ﷺ أحاديث كثيرة فيها تفريق بين عدد من المسائل والألفاظ المختلفة والتي ظاهرها التشابه في أبواب الشريعة، وأما ما يتعلق بالقرآن الكريم فيوجد بعض الروايات التي يمكن إدراجها تحت باب الفروق، كتفريقه ﷺ بين ورود المتقين وورود الظالمين لجهنم، وذلك بعد أن قال: ((لا يدخل النار أحدٌ بايعَ تحت الشجرة)). قالت له حفصة رضي الله عنها: أليس الله تعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا وادها﴾ [سورة مريم: ٧١]. قال: أولم تسمعي قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا﴾ [سورة مريم: ٧٢] (٣١).

فاشتمه على حفصة رضي الله عنها لفظ (الورود) الذي في الآية بلفظ (الدخول) المذكور في الحديث، وظنت أنها لفظاً واحداً، كما يقال: ورَدَ المدينة إذا دخلها. فأجابها النبي ﷺ بأن وُرُودَ المتقين غير وُرُودِ الظالمين، فإن المتقين يَرِدُونَهَا وورودًا يَنجُونَ به من عذابها؛ والظالمين يَرِدُونَهَا وورودًا يصيرون جثيًا فيها به (٣٢).

وكذلك تفريقه ﷺ بين أنواع الظلم في القرآن الكريم؛ فإنه لما نزلت آية ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]. شقَّ ذلك على أصحاب

(٣٠) عَلمَ الجذل، نجم الدين الطوفي، (ص ٧٤).

(٣١) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: من فضائل أصحاب الشجرة ﷺ (رقم ٢٤٩٦).

(٣٢) ينظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، (٣ / ١٠٥٤).

النبي ﷺ وقالوا: أَيْنَا لَمْ يَلِسْ إِيَّانَهُ بِظُلْمٍ. فقال رسول الله ﷺ: ((إنه ليس بذاك ألا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿إِنَّكَ الشِّرْكُ لَطُلُمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣])) (٣٣).

ثم بدأ علم الفروق في القرآن الكريم بالظهور شيئاً فشيئاً، وتمثل هذا الظهور في وجود آثار مروية عنهم، كما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "اعْرِفِ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ ثُمَّ قِسِ الْأُمُورَ عِنْدَكَ، فَاعْمِدْ إِلَى أَحَبِّهَا إِلَى اللَّهِ وَأَشْبِهِهَا بِالْحَقِّ، فِيمَا تَرَى" (٣٤). وقد علّق جلال الدين السيوطي ﷺ على هذا الكلام بقوله: "وفي قوله: فاعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق. إشارة إلى أن من النظائر ما يخالف نظائره في الحكم لمدرك خاص به وهو الفن المسمى بالفروق" (٣٥).

ومن تفريق الصحابة ﷺ -أيضاً- ما نُقل عن بعضهم في ذكر الفرق بين المكي والمدني، من حيث حصر السور المكية والمدنية، أو وضع ضوابط للمكي والمدني من الآيات، كما جاء عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "ما كان: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أنزل بالمدينة، وما كان: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فبمكة" (٣٦).

وكذلك ذكرهم ﷺ للفرق بين المُحكّم والمتشابه، كما ذكره عبدالله ابن مسعود ﷺ وغيره، أن المراد بالآيات المحكمات: هن الناسخات التي يعمل بهن؛ وأما المتشابهات: فهن المنسوخات (٣٧).

(٣٣) أخرجه البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: إثم من أشرك بالله (رقم ٦٩١٨)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه (رقم ١٢٤).

(٣٤) أخرجه الدارقطني، في السنن (٣٦٨/٥ رقم: ٤٤٧١)، والبيهقي، في السنن الكبير، (٣٣٩/٢٠، ٤٤٥، رقم: ٢٠٣٧٣، ٢٠٥٦٧)، وفي معرفة السنن والآثار، (١٤/٢٤١-٢٤٠ رقم: ١٩٧٩٢). قال الزيلعي في نصب الراية (٨٢/٤): "وعبيد الله بن أبي حميد ضعيف".

(٣٥) الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، (ص ٧).

(٣٦) أخرجه البزار، (٤/٤٣٦ رقم: ١٥٣١). قال البزار: "وهذا الحديث يرويه غير قيس مرسلًا، ولا نعلم أحدًا أسنده إلا قيس".

(٣٧) ينظر: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، (٥/١٩٤).

وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه: فالمحكيات التي هي أم الكتاب: الناسخ الذي يدان به ويعمل به؛ والمتشابهات: هن المنسوخات التي لا يدان بهن (٣٨).

هذا، وقد جاءت عن بعض التابعين رضي الله عنه نصوصٌ تدل على أثرية علم الفروق في علوم القرآن، ووجدت لهم محاولات تطبيقية لهذا العلم، ومن أهم هذه النصوص نصٌ عزيزٌ يستفاد منه في علم الفروق على وجه العموم، وبالأخص في علم الوجوه والنظائر، وهو ما ورد عن أحد المفسرين الأفاضل الذين عاشوا في ذلك العهد، وهو الإمام عبدالرحمن بن زيد بن أسلم رضي الله عنه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَنبَغَ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف: ٨٥]. قال رضي الله عنه: "هذه؛ لأن الطريق كما قال فرعون لهامان ﴿أَن لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَدَ السَّمَوَاتِ﴾ [سورة غافر: ٣٦-٣٧]، طريق السماوات. قال: والشئ يكون اسمه واحدًا وهو متفرقٌ في المعنى. وقرأ: ﴿وَنَقَطَعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٦]، قال: أسباب الأعمال" (٣٩).

وهذا تصوير لعلم الفروق، وهو وجود التشابه في اللفظ مع اختلافٍ في المعنى، وفي هذا القول -أيضًا- دلالةٌ على أن علم الفروق له أصل عند المتقدمين. وفي التفريق بين المكي والمدني جاءت روايات عن بعض أصحاب هذا العهد، ولعله يكتفي من ذلك بما جاء عن الإمام يحيى بن سلام رضي الله عنه قوله: "ما نزل بمكة وما نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي. وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني، وما كان من القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبْرُ﴾ فهو مدني، وما كان: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فمنه مكِّي ومدني، وأكثره مكِّي" (٤٠).

وفرق الإمام الحسن البصري رضي الله عنه بين نوعين من علوم القرآن الكريم، وهما: المشكل والمتشابه من القرآن، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

(٣٨) المرجع السابق (١٩٣/٥).

(٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم، من طريق ابن وهب، في تفسير القرآن العظيم (٧/٢٣٨٣).

(٤٠) أخرجه الداني في كتاب: البيان في عد آي القرآن (١٣٢).

قال ﷺ: "يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكِلُون ما أشكل عليهم إلى عالمه" (٤١). فيلاحظ أنه - فرّق بين هذين العَلَمين فيما يجب تجاههما.

وجاءت روايات كثيرة عن التابعين وأتباعهم ﷺ في التفريق بين الألفاظ القرآنية، ومن ذلك ما نقل عن بعضهم في الفرق بين لفظ (السَّدُّ) و(السُّدُّ)، و(الشُّحُّ) و(البُّخْل) وغيرها (٤٢).

هذا وقد وجدت كتابات في الفروق في علوم القرآن الكريم مع بداية التصنيف في أبواب علوم القرآن، تناول أصحابها فيها جانباً من جوانب الفروق، ومجالاً من مجالاتها، ككتب الوجوه والنظائر، ومتشابه القرآن الكريم، وتأويل مشكل القرآن ونحوها، ومن المؤلفات ما جاء ذكر الفروق فيها بارزاً في عنوان أو باب أو فصلٍ ونحوها (٤٣)، ومؤلفاتٍ جاءت الفروق فيها مُدرّجةً في ثناياها بلا إبراز لها (٤٤).

أما المؤلفات التي استقلت في ذكر الفروق في علوم القرآن الكريم فهي تقتصر في بحثها - أيضاً - على مجالٍ واحدٍ من مجالات الفروق، كمجال فروق الألفاظ القرآنية، والمصطلحات في علوم القرآن، والمتشابه اللفظي بين الآيات، والفرق بين الحروف، وأغلبها في الفرق بين حرفي (الطاء) و(الضاد) (٤٥).

(٤١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/ ٤٩١).

(٤٢) ينظر: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، (٣٨٥، ٣٨٦)، (٧/ ٢١).

(٤٣) كالناسخ والمنسوخ، للنحاس (ت ٣٣٨هـ)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، والتمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، ومناهل العرفان، للزرقاني (ت ١٣٦٧هـ).

(٤٤) وهذا النوع من المؤلفات أكثر من سابقه، وقد تنوعت في ذكر الفروق من حيث: كثرتها وقِلَّتْها، وصيغتها، كالجامع لعلم القرآن، للزَّمانِيَّ (ت ٣٨٤هـ)، ومفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، والنكت والعيون، للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، وغيرها.

(٤٥) ومن أبرز هذه المؤلفات: الفرق بين الضاد والطاء في كتاب الله ﷻ وفي المشهور من الكلام، للداني (ت ٤٤٤هـ)، المصباح في الفرق بين الضاد والطاء في القرآن العزيز - نظماً ونثراً -، للحراني (ت ٦١٨هـ)، منظومة ظائية في الفرق بين الطاء والضاد، للسخاوي (ت ٦٤٣هـ)، دُرَّةُ القاري في الفرق بين الضاد والطاء في القرآن، للرسعني (ت ٦٦١هـ)، الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي، للفتازاني (ت ٨٨٧هـ)، الفرق بين الحمد والشكر، للتوقياتي (ت ٩٠٤هـ)، الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي،

المبحث الثاني: أنواع الفروق في علوم القرآن الكريم، وأسبابها، وضوابطها:

المطلب الأول: أنواع الفروق في علوم القرآن الكريم، ومجالاتها.

إن المتتبع للفروق المبثوثة في كتب علوم القرآن الكريم يجدها تدور حول أنواع مختلفة، واختلافها هذا كان بحسب الاعتبارات التي ترجع إليها، ومن أبرزها أنها تنقسم بحسب المحل الذي يُبحث فيه عنها (موضوعها)، فهي تنقسم بهذا الاعتبار إلى الأقسام التالية:

القسم الأول: الفروق في المصطلحات: وهي على نوعين:

النوع الأول: الفروق في المصطلح الواحد: فتارةً يكون لهذا المصطلح أكثر من إطلاق، وهذه الإطلاقات تختلف بعضها عن بعض، كمصطلح (التأويل)، فإنه يطلق ويراد به ثلاثة معانٍ: تفسير الكلام وبيان معناه، والحقيقة التي يؤول إليها الأمر، وصرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

وقد ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران: ٧]، وقوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف: ٧٨].

وتارةً يكون للمصطلح الواحد إطلاقان، إطلاقٌ عند المتقدمين وإطلاقٌ عند المتأخرين، كمصطلح (النسخ)، فإن مفهومه عند المتقدمين: بيان المراد، المشتمل على تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتبيين المجهول. وأما مفهومه عند المتأخرين فهو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

ومما ورد في القرآن الكريم من هذا المصطلح قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٩].

للقنوني (ت ١٠٧٠هـ)، التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل، للعمادي (ت ١١٧١هـ)، الفرق بين القراءات والروايات، ليالوشه (ت ١٣١٤هـ).

وتارةً يكون للمصطلح الواحد إطلاقان أيضاً، إطلاق عام وإطلاق خاص، كالفرق بين الإطلاقين في مصطلح (المحكم)، فالإحكام العام بمعنى: الإتقان، والإحكام الخاص: ما يأتي في مقابل المشابه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ أَحْكَمَتَ أَيْنَهُ﴾ [سورة هود: ١].

وتارةً يكون المصطلح الواحد مشتركاً بين علوم القرآن وعلوم أخرى، ولكلٍ من أصحاب هذه العلوم مفهومه الخاص بهذا المصطلح، ومن ذلك مصطلح (القراءة الشاذة) فإن معناه يفترق بين علماء علوم القرآن وعلماء أصول الفقه، وكذلك مصطلح (الاختلاس) فإن معناه عند علماء القراءات وعلوم القرآن يختلف عن مفهومه المراد به عند علماء الفقه وعلماء النحو وغيرهم.

النوع الثاني: الفروق بين مصطلحين أو أكثر: فقد تجتمع بعض المصطلحات وتكون بينها علاقة تربط بينها، وهي في الحقيقة مختلفة عن الأخرى.

مثال ذلك: الفرق بين الوقف والقطع والسكت، فإن هذه المصطلحات الثلاثة مما يتسع مفهومها عند السلف رحمهم الله، فأحياناً يعبرون عن الواحد منها ويريدون به الآخر أو غيره، حتى طرأ عليها التغيير، فتحرر عند المتأخرين المراد منها، وهذا الأمر قد أشار إليه العلامة ابن الجزري رحمهم الله، ويبيّن معانيها بقوله: "هذه العبارات جرت عند كثير من المتقدمين مراداً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة، وأما عند المتأخرين وغيرهم من المحققين فإن القطع عندهم: عبارة عن قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمتنقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة؛ كالذي يقطع على حزب، أو ورد، أو عشر، أو في ركعة ثم يركع، أو نحو ذلك مما يؤذن بانقضاء القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة أدباً، ولا يكون إلا على رأس آية؛ لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع. والوقف: عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة؛ إما بما

يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله... لا بنية الإعراض، والسكت: هو عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس" (٤٦).

وفي الكتاب العزيز مصطلحات عدة مترابطة بجامع يجمعها، مع اختلافها حقيقة، ومن ذلك على سبيل المثال: الفقير والمسكين، فيجتمعان في الحاجة، ويختلفان في درجتها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [سورة التوبة: ٦٠].

القسم الثاني: الفروق في المسائل: وهي: المطالب التي يُبرهن عليها في العلم، ويكون الغرض من ذلك العلم بمعرفتها (٤٧). فالمسائل في علوم القرآن: ما كانت محل بحث ونظر العلماء فيما له علاقةً بعلوم القرآن الكريم، سواءً أكانت هذه المسائل خاصة بالقرآن وعلومه، أو متصلة بالفنون الأخرى كالعقيدة، أو الفقه وأصوله، أو اللغة العربية وفروعها.

ومن الأمثلة على ذلك: الفرق بين تركيب القراءات (٤٨) في مقام الرواية، وبين تركيبها في مقام التلاوة: قال العلامة ابن الجزري رحمه الله: مبيّنًا الفرق ووجهه في هذه المسألة: "فإن قرأ بذلك على سبيل الرواية، فإنه لا يجوز أيضًا من حيث إنه كذب في الرواية وتحليل على أهل الدراية، وإن لم يكن على سبيل النقل والرواية، بل على سبيل القراءة والتلاوة، فإنه جائزٌ صحيحٌ مقبولٌ لا منع منه ولا حَظَر، وإن كنا نعيّبه على أئمة القراءات العارفين باختلاف الروايات من وجه تساوي العلماء بالعوام، لا من وجه أن ذلك مكروهٌ أو حرام؛ إذ كلٌّ من عند الله نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين تخفيفًا عن الأمة، وتهوينًا على أهل هذه الملة، فلو أوجبنا عليهم قراءة كل

(٤٦) ينظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، (٣/ ٦١٦-٦١٢).

(٤٧) التعريفات، للجرجاني، (ص ٢١٠).

(٤٨) تركيب القراءات هو: التنقل بين القراءات أثناء التلاوة، من غير إعادة لأوجه الخلاف، ودون الالتزام برواية معينة، كأن يقرأ القارئ في موضع بضم الهاء في "وهو"، وفي موضع آخر بإسكانها، ويُعبّر عنه: —(التلفيق) و(الخلط)، وللعلماء فيها أقوال متعددة، منها: المنع مطلقًا، والجواز مطلقًا، والتفصيل كما هو مذكورٌ أعلاه. ينظر: القراءات القرآنية - تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها -، عبد الحليم قابة، (ص ٢٩)، ومختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم الدوسري، (ص ٤٦)، المدخل إلى علم القراءات، عبد القيوم السندي، (ص ١٥٥).

رواية على حدة لَشَقَّ عليهم تمييز القراءة الواحدة، وانعكس المقصود من التخفيف، وعاد الأمر بالسهولة إلى التكليف" (٤٩).

القسم الثالث: الفروق في القواعد: وقواعد علوم القرآن: هي الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها (٥٠).

مثال ذلك: الفرق بين قاعدة: "نفي العام أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام"، وبين قاعدة: "نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى". فنفي العام في القاعدة الأولى يدل على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام، ونفيه لا يدل على نفيه، بخلاف القاعدة الثانية؛ فنفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى لا من جهة كونه أخص، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى. ومما يمثل به على نفي العام الدال على نفي الخاص قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ١٧]. فلم يقل: "بضوئهم"؛ لأن النور أعم من الضوء، إذ يقال على القليل والكثير، وأما الضوء فيقال على النور الكثير. ومثال إثبات الخاص المتضمن لإثبات العام قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]. إذ الرسالة أخص من النبوة وأعلى درجة، ولا يكون الرسول رسولاً إلا مع النبوة، وعليه إذا كان العبد رسولاً فإن هذا يعني أنه نبي قطعاً. ومثال نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ: ٢٢]. فنفي ملك وزن الذرة عن المعبودات من دون الله ﷻ أبلغ مما هو أعلى منه، فهذه المعبودات -من باب أولى- لا يملكون الرزق، ولا الشفاعة، ولا الموت، ولا الحياة (٥١).

(٤٩) النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، (١/٦٦-٦٥).

(٥٠) ينظر: التعريفات، للرجزاني، (ص ١٧٢)، وكشاف اصطلاحات الفنون، محمد التهانوي، (٢/١٢٩٥)، وقواعد التفسير -جمعاً ودراسة-، خالد السبت، (١/٢٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين -دراسة نظرية تطبيقية-، حسين الحربي، (١/٣١).

(٥١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، (٣/٤٥٨)، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (٥/١٦٩٨)، وقواعد التفسير، خالد السبت، (٢/٥٢٣-٥٢١).

القسم الرابع: الفروق في المفردات (٥٢): وهو ما يُبحث في الفرق بين الكلمات القرآنية المفردة التي تجمعها صلة دلالية، وعلاقة معنوية ترجع إلى تقارب معاني الألفاظ في الأصل، أو إلى اشتقاقها من مادة لغوية واحدة، ثم ينفرد كل منها بخصوصية لا يُستغنى عنها، سواءً كانت فروقاً حركية كالفرق بين: السَّلم والسَّلم، والسَّوء والسَّوء، والوَفْر والوَفْر، والضَّر- والضَّر، أو بين الكلمة ونظيرها، كالعلم والمعرفة، والخوف والخشية، والزوج والبعل، أو بين أبنية الكلمة ومشتقاتها، كالفرق بين: سقى وأسقى، وصعد وأصعد، ومدّ وأمدّ، والفرق بين: الوعد والوعد، والبصر والبصيرة، والرسول والمرسل، والموت والممات، أو الفرق بين: أسرى وأسارى، وضعاف وضعفاء، وأبرار وبررة، وريح ورياح (٥٣).

ومن نماذج هذا القسم: الفرق بين الخوف والخشية: فهما لفظان يشتركان في معنى: توقع المكروه، وانقباض النفس لذلك، ويفترقان في بعض المعاني التي قد يتميز بها أحدهما عن الآخر، ومن ذلك: أن الخشية أعلى من الخوف، وهي أشد الخوف، وأن الخوف فيما ظهرت أسبابه، والخشية فيما لم تظهر أسبابه، والخشية تكون من عِظم المَخْشِي وإن كان الخاشي قوياً، ولذلك غالباً ما ترد في حق الله ﷻ، وأما الخوف فيكون من ضعف الخائف وإن كان المَخْوَفاً أمراً يسيراً، وأن الخشية ناتجة عن العلم، وفيها انقياد وامتنال، وهي محمودة في كل مواضعها، بخلاف الخوف (٥٤).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْتَطِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْبَلُوكُمْ بِثَنِيٍّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة

(٥٢) وهي ما يسميها بعضهم: الفروق اللغوية، كما هو ظاهر عنوان كتاب الأستاذ الدكتور: محمد الشايع، وقد يسميها البعض الآخر: مصطلحات القرآن، كما فعل ذلك الأستاذ الدكتور: محمد أمحزون، في كتابه الذي بعنوان: المصطلحات في القرآن الكريم - المعاني والدلالات -.

(٥٣) وللمزيد من الأمثلة على هذا القسم ودراساتها، ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد الدوري، (ص ٢١١-٢٧٨)، ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد داود، (ص ٤١٧-٥٠٧).

(٥٤) ينظر: النكت والعيون، علي الماوردي، (٣/ ٣٩٣)، والبرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، (٤/ ٦٨)، والافتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (٤/ ١٣٠٤)، ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد داود، (ص ٢٣٧-٢٤٥).

البقرة: ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَمَّنْ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٣].

المطلب الثاني: أسباب الفروق في علوم القرآن الكريم، ودواعيها.

يمكن حصر أسباب ودواعي الفروق في أمر رئيس، سبق ذكره عند التعريف اللغوي والاصطلاحي للفروق، وهو: الاشتباه بين شيئين أو أكثر، وهذا الاشتباه منشأ أسباب كثيرة منها: الاشتراك، والتقارب، واللبس والاشكال، والخلط بين المصطلحات المتشابهة، وتوضيحها كالتالي:

السبب الأول: الاشتباه بسبب الاشتراك: حيث تتنوع مجالات الاشتراك في كلام العرب وعباراتهم، وفي القرآن الكريم وعلومه المستنبطة منه الشيء الكثير، وهذا ما يفهم من قول إمام النحاة سيويه رحمه الله بقوله: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة" (٥٥). وبناءً على هذا القول يمكن حصر الاشتراك في كلام العرب الذي بسببه نشأ الفرق، واحتاج العلماء للتفريق بين الألفاظ وغيرها في أمور، من أبرزها: الاشتراك في اللفظ، وفي المعنى، وفي الحكم.

أولاً: الاشتراك في اللفظ، أو ما يسمى بالمشترك اللفظي، الذي هو: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة (٥٦)، وفي القرآن الكريم بعض الألفاظ التي تكون من هذا القبيل، كلفظ ﴿أُمَّةٌ﴾ فإنه مشترك بين معانٍ كثيرة منها: الجماعة، والإمام، والدين، والحين، وهي ما يسمى في علوم القرآن بالوجوه (٥٧).

(٥٥) الكتاب، لسيويه، عمرو الحارثي، (ص ٢٤).

(٥٦) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، (١/ ٣٦٩).

(٥٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، (١/ ١٩٣).

وفي باب مصطلحات علوم القرآن يظهر اشتراك بعضها مع بعض في اللفظ دون المعنى، ومن ذلك مصطلح "التأويل" فهو مشترك بين معانٍ ثلاثة: تفسير الكلام وبيان معناه، ونفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان الكلام خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به، وصرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترب به.

فهذه المعاني الثلاثة لما اشتركت في لفظ واحد، حصل خلطٌ عند بعض الناس، مما أدى إلى إبراز الفروق بينها، لتوضح مدلولاتها، وتبين حقائقها.

ثانياً: الاشتراك في المعنى، أو ما يسمى بالترادف، وهو اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وكونه سبباً للفروق أمرٌ ظاهر؛ ذلك أن بعضهم إذا وجد لفظين مختلفين، وبينهما اشتراكٌ في بعض وجوه المعاني فإنه يظن اتحادهما في جميع الوجوه، فيستعمل اللفظ المرادف مكان الآخر ويضعه في غير موضعه، وفي كتاب الله ﷺ الكثير من الكلمات المشتركة في بعض معانيها، وقد مضى ذكر شيء منها، وأما في مصطلحات علوم القرآن، فإنه -على سبيل المثال- يوجد اشتراكٌ بين مصطلح التفسير والتأويل من حيث كونها بياناً لمعنى القرآن الكريم، ولكنها يفترقان من وجوه أخرى، وأيضاً ما يقع بين مصطلحي فواصل ورؤوس الآيات من اشتراك في جهةٍ من معانيها، وهو كونها كلامٌ منفصلٌ عما بعده، لكنها يفترقان من جهةٍ أخرى في المعنى.

ثالثاً: الاشتراك في الحكم، وذلك بأن يكون هناك اشتراكٌ في بعض الأحكام المتعلقة بالمصطلحات وغيرها التي يكون بينها تداخلٌ، مما يستوجب التمييز بينها، ولولا وجود مثل هذا الاشتراك لما حصل تفریقٌ وتمييزٌ.

ومن الأمثلة على اشتراك المصطلحات في بعض أحكامها ما ذكر في مصطلحي النسخ والتخصيص، فإنهما من المصطلحات التي وقع بينهما اشتراكٌ في الحكم من حيث إزالة المتقدم منه، لكن النسخ إزالةٌ كلية، والتخصيص إزالةٌ جزئية، ولهذا يقول العلامة بدر الدين الزركشي رحمه الله: "واعلم أن التخصيص شديد الشبه بالنسخ؛ لاشتراكهما في اختصاص الحكم بنقض ما يتناوله اللفظ، وقد فرقوا بينهما من وجوه". ثم ذكر ثمانية عشر فرقاً (٥٨).

(٥٨) البحر المحيط، محمد الزركشي، (٣/ ٢٤٣)، وينظر أيضاً: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب، (ص ٨٥)، ومباحث الفروق في التفسير وعلوم القرآن، عبد السلام الجار الله، (ص ٣٥٥).

السبب الثاني: الاشتباه بسبب التقارب اللفظي:

الفرق بين هذا السبب وما ذكر في السبب السابق ظاهر لمن تأمله؛ فهناك (المشترك اللفظي) يكون اللفظ واحدًا، أما هنا (التقارب اللفظي) فتكون الألفاظ مشتركة في جميع حروفها إلا في حرفٍ أو حرفين، أو في حركةٍ، أو في اشتقاقٍ، ومع هذا التقارب فإنه يختلف مدلول اللفظين أحدهما عن الآخر بعض الاختلاف، مع بقاء المعنى العام للمادة مشتركاً فيها^(٥٩).

مثال ذلك: ما ذكره العلامة ابن جني رحمه الله في سبب الفرق بين كلمتي (الأزّ والهزّ)، حيث يقول: "من ذلك قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا﴾ [سورة مريم: ٨٣]، أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزُّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين" (٦٠).

ومن الأمثلة على مصطلحات علوم القرآن المتقاربة في ذلك، ما ذكره العلامة الراغب الأصفهاني رحمه الله في الفرق بين التفسير والتأويل، حيث يقول: "الفسرُ والسفرُ يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما" (٦١).

السبب الثالث: الاشتباه بسبب اللبس والإشكال:

الالتباس هو الإشكال، يقال: "لَبَسْتُ الأمرَ على القوم ألبسه لبسًا: إذا شَبِهْتَهُ عليهم وجعلته مُشْكِلًا"، والأمر إما أن يلتبس على المدرك، وإما أن يكون ملتبسًا بنفسه؛ لاختلاط عناصره بعضها ببعض، فإذا نشأ الالتباس عن اختلاط العناصر، كان التباسًا حقيقيًا، وإذا نشأ عن عجز الذهن عن التمييز بين عناصر الشئيين كان التباسًا ذهنيًا^(٦٢).

(٥٩) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد الدوري، (ص ٢٨٠).

(٦٠) الخصائص، عثمان بن جني، (١٤٦/٢).

(٦١) مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (ص ١٠)، بواسطة: منهج الراغب الأصفهاني في التفسير، مع تحقيق مقدمته وتفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة، المقدمة من الباحث: محمد عبدالعزيز بسيوني.

(٦٢) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، مادة (لبس) (٤٤٣/١٢)، والمعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جيل صليبا، (١/١١٧)، ومباحث الفروق في التفسير وعلوم القرآن، الجارالله، (ص ٣٥٩).

وهذا ظاهرٌ في كثيرٍ من المصطلحات التي بينها اشتباه، فمثلاً: يوجد عناصر تختلط بعضها في بعض بين مصطلحي التفسير والتأويل، وأيضاً في إطلاقات النسخ، وكذا التشابه، مما يجعل هذا الأمر فيه التباسٌ على بعض المختصين في هذا المجال، وهذا هو الالتباس الحقيقي. وقد يقع الالتباس في ذهن بعض الناس بمجرد تشابه في اللفظ بين مصطلح وآخر، أو بما تتضمنه هذه المصطلحات من مفاهيم ومحتويات، وهذا يكثر عند غير المختصين في المجال الشرعي، والدراسات القرآنية على وجه الخصوص، فتجد الواحد منهم تلبس عليه بعض الأمور المتغايرة والتي ظاهرها الاستقلال، كحال من يخلط بين مصطلحي علوم القرآن وأصول التفسير (٦٣)، والقراءات السبع والأحرف السبعة؛ بناءً على مؤلفاتٍ فيها ونحو ذلك.

السبب الرابع: الجمع والخلط بين المصطلحات والمفاهيم المتشابهة:

الجمع قرين الفرق، فهما شيئان متلازمان، كلٌّ منهما خادمٌ للمقصود من البحث الفروقي، ومعينٌ على تحصيله وتقريبه؛ إذ المقصود هو معرفة نوع العلاقة بين المصطلحين، وهذه المعرفة لا تنكشف إلا بالمزاوجة بين الجمع والفرق، فوجه الفرق بين المصطلحين كلما كان ظاهرًا واضحًا كانت الحاجة أقوى إلى إبراز وجه الجمع، كما هو الحال في المصطلحات المتقابلة؛ كالمتكفي مع المدني، والعام مع الخاص، والمطلق مع المقيد، ونحو ذلك، ووجه الجمع بين المصطلحين كلما كان ظاهرًا واضحًا كانت الحاجة أقوى إلى إبراز وجه الفرق، كما هو الحال في المصطلحات المترادفة والمتقاربة؛ كالنسخ مع البداء، والنسخ مع التخصيص، والفاصلة مع رأس الآية، ونحو ذلك (٦٤). فالعلاقة بين الجمع والفرق علاقة تلازم؛ فلولا وجود الجمع لما وُجد الفرق، وكذلك العكس، وبعض الألفاظ إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت؛ كالإسلام والإيمان، والمسكين والفقير، والبر والتقوى (٦٥)، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌ لَّمْ يَأْمُرُوا﴾

(٦٣) ينظر في الفرق بينهما: المقالة الرابعة من: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد الطيار، (١/ ٣٣).

(٦٤) ينظر: المدخل إلى الفروق الأصولية، محمد الجيزاني، (ص ٦٧).

(٦٥) قاعدة الألفاظ "إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت" مشتهرة بهذا اللفظ، وقد عبّر عنها العلامة ابن رجب رحمه الله بقوله: "إذا أفرد كلٌّ من الإسلام والإيمان بالذكر، فلا فرق بينهما حينئذٍ، وإن قُرن بين الاسمين كان بينهما فرق". جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، (١/ ١٠٧). وعبّر عنها الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله بقوله: "بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا

وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿[سورة الحجرات: ١٤]﴾، وقال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [سورة الحجرات: ١٧].

المطلب الثالث: ضوابط الفروق في علوم القرآن.

ضوابط الفروق في علوم القرآن: أحكامٌ كليةٌ يستطيع الباحث من خلالها معرفة ما إذا كان بين المشتبهات من المصطلحات والمفاهيم القرآنية فرقٌ أم لا، وقد ذكر أهل العلم بعض الضوابط لمعرفة الفروق بين الأشياء، يذكرونها مجتمعةً، أو يذكرونها عَرَضًا في تطبيقاتهم عند التفريق، وأغلبها في مجال المفردات (٦٦)، وأما الضوابط الشاملة لمجالات الفروق فيمكن في ضوابط أربعة، وهي كالتالي:

أولاً: ما ذكر فيه الفرق نفيًا أو إثباتًا.

وهذا الضابط هو أهمُّ وأوضح وأسلم ضوابط معرفة الفروق؛ ذلك أن الباحث في الفروق إذا وجد نصًّا من كلام أهل العلم على الفرق بين مصطلحين أو مسألتين في علوم القرآن الكريم، فإنه سيطمئن في الحكم عليهما بالفرق؛ لوجود سلفٍ له في ذلك.

بل إنه قد يتوقف في التفريق بين بعض معاني القرآن على كلام العرب، وهذا ما صرح به الإمام أبو جعفر النحاس رحمه الله عند شرحه لإعراب قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا﴾ [سورة المؤمنون: ١١٠]، فإنه أنكر على الإمام أبي عمرو بن العلاء تفريقه بين معنى ﴿سِحْرِيًّا﴾ بكسر السين أو ضمها، فيقول رحمه الله: "وفرق أبو عمرو بينهما فجعل المكسورة من جهة التهزؤ، والمضمومة من جهة السُّخْرة. ولا يعرف هذا التفريق الخليل وسيبويه رحمه الله، ولا الكسائي ولا

أفرد دلَّ على المعنى المناسب له، وإذا قرُن مع غيره دلَّ على بعض المعنى، ودل ما قرن معه على باقيه".
القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن آل سعدي، (ص ٤٨).

(٦٦) ينظر -على سبيل المثال- الضوابط التي وضعها العلامة أبو بكر بن السراج رحمه الله، في كتابه (رسالة في الاشتقاق) حيث أفرد بابًا بعنوان: "باب اللفظتين المتشابهتين إذا أردت أن تعلم أمعناهما سواء أم هما مختلفان؟". والعلامة أبو هلال العسكري رحمه الله وضع في مقدمة كتابه (الفروق في اللغة) ثمانية ضوابط بها يُعرف الفرق بين الألفاظ المتقاربة في المعنى.

الفراء. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، كما يقال: عَصِي - وعُصِي، وقال محمد بن يزيد (٦٧): إنما يؤخذ التفريق بين المعاني عن العرب، فأما التأويل فلا يكون. " (٦٨).

هذا، وإن نصوص العلماء في لفظ الفرق هو ما يشعر بالفصل والتمييز بين المشتبهات، سواء كان اللفظ مأخوذاً من مادة (فَرَقَ)، أو مدلولاته كلفظ (الاختلاف)، و(البون)، و(الغير)، أو نفي المساواة والمشابهة، ونحو ذلك.

ثانياً: ما فَرَّقه العلماء تطبيقاً:

أي أن الفروق يمكن معرفتها من خلال تصرفات أهل العلم في المقارنة بين المصطلحات والمسائل التي يكون بينها قدر اشتباه، كأن يذكر العالم معنى لمصطلح من مصطلحات علوم القرآن، ثم يتبعه بمعنى المصطلح المشابه له، أو يقارن بينهما بذكر ضوابطهما أو الأمثلة عليهما ونحو ذلك.

وهذا الضابط يختلف عن سابقه؛ لأن الأول يُذكر فيه لفظ الفرق وما يقاربه، أما هذا فلا يذكر فيه ذلك، وقد مضى ذكر بعض تطبيقات العلماء في التفريق بين المكّي والمدني، والمحكم والمتشابه، عند الكلام على نشأة علم الفروق.

ثالثاً: ما يحتمل التفريق:

وهذا الضابط يقوم على أمور كثيرة يحتمل التفريق بها، ومن أبرزها:

١. التفريق بذكر القيود في الحد: فمن المعلوم أن الحد يستعمل في الجنس والفصول (٦٩)، والمصطلحان المشتبهان قد يكون الجامع بينهما الجنس فقط، فيفرق بينهما بعد ذلك بأي فصل من الفصول التي هي القيود.

مثال ذلك: ما ذكره الشيخ الزرقاني رحمته الله من قيود في تعريف الترجمة، وبموجبها فرّق بينها وبين التفسير، فيقول: "هي التعبير عن معنى كلامٍ في لغةٍ بكلامٍ آخر من لغةٍ أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده. فكلمة (التعبير) جنس، وما بعده من القيود فصل. وقولنا: (عن معنى كلام) يخرج به التعبير عن المعنى القائم بالنفس حين يخرج في صورة

(٦٧) هو: محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥).

(٦٨) إعراب القرآن، أحمد النحاس، (٣/ ١٢٤).

(٦٩) الجنس: اسم دالٌّ على كثيرين مختلفين بأنواع. التعريفات، للجرجاني (ص ٨٣).

والفصل: كلي يحمل على الشيء في جواب أي شيء هو في جوهره. التعريفات، للجرجاني (ص ١٦٩).

اللفظ أول مرة. وقولنا: (بكلام آخر) يخرج به التعبير عن المعنى بالكلام الأول نفسه، ولو تكرر ألف مرة. وقولنا: (من لغة أخرى) يخرج به التفسير بلغة الأصل، ويخرج به -أيضاً- التعبير بمترادف مكان مرادفه، أو بكلام بدل آخر مساوٍ له، على وجه لا تفسير فيه، واللغة واحدة في الجميع.." (٧٠).

٢. التفريق بالتقسيم: كأن يكون المصطلحان المشتبهان مندرجان تحت أمرٍ معين، فيقوم الباحث عن الفرق بينهما بتقسيم ذلك الأمر؛ حتى يصل إلى الفرق بينهما.

مثال ذلك: المثون والمثاني، فإنها يندرجان تحت موضوع سور القرآن من حيث الطول، ولكن كيف يُعرف الفرق بينهما؟ الجواب: يكون ذلك بتقسيم سور القرآن بهذا الاعتبار، ثم يتبين الفرق بينهما بعد ذلك (٧١).

٣. التفريق بإطلاقات المصطلح الواحد: وهو ما ترددت معانيه في كلام العلماء في علوم القرآن الكريم بين معنيين فأكثر. وله أمثلة كثيرة كإطلاقات النسخ، والمتشابه، والتأويل

٤. التفريق بضد المعنى: وهو ما عبّر عنه العلامة أبو هلال العسكري رحمته الله بأن الفروق تعرف باعتبار النقيض (٧٢).

مثاله: الفرق بين (الحمد والشكر)، فمن المعلوم أن ضد (الحمد) الذم، وضد (الشكر) الكفر. وفي باب المصطلحات: الفرق بين العام والمطلق، فالعام ضده الخاص، والمطلق ضده المقيّد، فإذا عُرف ذلك اتضح الفرق.

رابعاً: ما يشكل من مسائل ومصطلحات علوم القرآن الكريم:

الإشكال والاشتباه واللبس ألفاظٌ متقاربةُ المعنى، فإذا وُجد ذلك بين مصطلحين أو مسألتين، فإنه علامة على وجود الفرق، ولكن ما يعيق هذا الضابط أن الإشكال أمرٌ نسبي، فقد يكون مشكلاً عند بعض الباحثين وبيّناً ظاهراً عند آخرين، والأصل في اعتبار هذا الضابط ما سبق تقريره في تعريف الفروق في اللغة والاصطلاح، وهو وجود الاشتباه بين مجالات البحث الفروقي.



(٧٠) مناهل العرفان، محمد الزرقاني، (٢ / ٩١).

(٧١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، (١ / ٣٤٢-٣٣٨).

(٧٢) الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، (ص ١٩).

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج العامة:

١. تبين أن معنى الفروق لغة: جمع (فرق)، والفاء والراء والقاف أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمييز وتزييل بين شيئين، ويأتي بمعنى: الفصل، والمباينة، والبيان. ومعناه اصطلاحاً: إثارة الاختلاف فيما فيه اشتباهٌ من المسائل والمصطلحات والقواعد المتعلقة بالقرآن الكريم.
٢. أن علم الفروق علمٌ عظيمٌ، وفنٌ دقيقٌ، يوصل إلى غايةٍ شريفةٍ، وهي ضبط وتحرير المسائل والألفاظ، وله فوائد عديدة.
٣. نشأة الفروق مرتبطة بنشأة علوم القرآن الكريم، وبداية علوم القرآن مرتبطة بنزول الوحي، وقد ألفت فيه مؤلفات عديدة.
٤. تنقسم الفروق في علوم القرآن بحسب موضوعها إلى أربعة أقسام: فروق في المصطلحات، وفي المسائل، وفي القواعد، وفي المفردات.
٥. السبب في وجود الفروق: الاشتباه بين شيئين أو أكثر، وهذا الاشتباه حصل بأسبابٍ كثيرة كالاشتراك، والتقارب، واللبس والإشكال، والخلط بين المصطلحات.
٦. علم الفروق في علوم القرآن يقوم على أسسٍ وضوابط يمكن معرفته بها، كنصوص العلماء على وجود الفرق، وما فرقوه في تطبيقاتهم، وما يحتمل الفرق، وما هو محل إشكال.

ثانياً: التوصيات:

٧. تدريس علم الفروق في علوم القرآن في مراحل الدراسات العليا.
٨. مد بساط هذا العلم لفتح أبواب المشاريع العلمية للبحث فيه.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإيتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ.
٢. إعراب القرآن، أحمد النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ.
٣. أعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ.
٤. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: يوسف المرعشلي، وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.
٥. تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.
٧. التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٨. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ.
٩. تهذيب اللغة، محمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون، وآخرون، الدار المصرية للتأليف، ١٣٨٤هـ.
١٠. الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، عن طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٧١هـ.
١١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، القاهرة، ١٤٢٤هـ.
١٢. سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
١٣. علم الجدل في علم الجدل، نجم الدين الطوفي الحنبلي، تحقيق: فولفهارت هاينر يشس، دار فرانز شتاينر، ١٤٠٨هـ.
١٤. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد الشايع، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ.
١٥. الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: جمال مدغمش، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ.

١٦. القراءات القرآنية - تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها -، عبد الحليم قابة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩ م.
١٧. قواعد التفسير - جمعاً ودراسة -، خالد السبت، دار ابن عفان، القاهرة، ١٤٢٦ هـ.
١٨. القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
١٩. الكتاب، لسيبويه، عمرو الخارثي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ.
٢٠. لسان العرب، محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، (د.ت).
٢١. مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم الدوسري، دار الخضارة، الرياض، ١٤٢٩ هـ.
٢٢. المدخل إلى الفروق الأصولية والمصطلحات والتقاسيم، محمد الجيزاني، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٤٠ هـ.
٢٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، عناية: عادل مرشد، (د.ت).
٢٤. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.
٢٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.
٢٦. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد الطيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ١٤٣٦ هـ.
٢٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
٢٨. نصب الراية لأحاديث الهداية، أبو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي الحنفي، تحقيق: محمد عوامة، دار الحديث، دار القبلية للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة الريان، بيروت، والمكتبة المكية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

Romanization of references

1. Al-Itqān fī 'ulūm al-Qur'ān, 'Abd al-Raḥmān al-Suyūṭī, edited by the Center for Qur'anic Studies, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, Medina, 1434 AH.
2. I'rāb al-Qur'ān, Aḥmad al-Naḥḥās, edited by Zuhair Ghazi Zahid, Dar Alam al-Kutub, 1405 AH.
3. A'lām al-muwaqqi'īn 'an Rabb al-'ālamīn, Muḥammad Ibn Qayyim al-Jawzīyah, edited by Muhammad Ajmal al-Islahi, Dar Alam al-Fawa'id, Mecca, 1437 AH.
4. Al-Burhān fī 'ulūm al-Qur'ān, Muḥammad ibn Allāh al-Zarkashī, edited by Yusuf al-Mar'ashli and others, Dar al-Ma'rifah, Beirut, 1410 AH.
5. Ta'wīl mushkil al-Qur'ān, Allāh ibn Muslim ibn Qutaybah, edited by Sayyid Saqr, Dar al-Turath Library, Cairo, 1393 AH.
6. Al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, Muḥammad al-Ṭāhir Ibn 'Āshūr, Tunisian House, Tunis, 1984.
7. Al-ṭryfāt, 'Alī al-Jurjānī, edited by Muhammad Basil Ayoun al-Sud, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1424 AH.
8. Tafsīr al-Ṭabarī, Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān, Muḥammad ibn Jarīr al-Ṭabarī, edited by Abdullah al-Turki, Dar 'Alam al-Kutub, Riyadh, 1424 AH.
9. Tahdhīb al-lughah, Muḥammad al-Azharī, edited by Abd al-Salam Harun and others, Dar al-Masriyyah for Authorship, 1384 AH.
10. Al-Khaṣā'is, 'Uthmān ibn Jinnī, edited by Muhammad Ali al-Najjar, Al-Maktaba al-Ilmiyyah, from the edition of Dar al-Kutub al-Masriyyah, Cairo, 1371 AH.
11. Al-Durr al-manthūr fī al-tafsīr bi-al-ma'thūr, 'Abd al-Raḥmān al-Suyūṭī, edited by Abdullah al-Turki, Hijr Center for Research and Studies, Cairo, 1424 AH.
12. Siyar A'lām al-nubalā', Muḥammad al-Dhahabī, edited by Shu'ayb al-Arna'ut and others, Dar al-Risalah, Beirut, 1401 AH.
13. 'Ilm al-jdhl fī 'ilm al-jadal, Najm al-Dīn al-Ṭūfī al-Ḥanbalī, edited by Wolfhart Heiner Jass, Franz Steiner Publishing House, 1408 AH.
14. Al-Furūq al-lughawīyah wa-atharuhā fī tafsīr al-Qur'ān al-Karīm, Muḥammad al-Shāyī, Al-Ubaikan Library, Riyadh, 1414 AH.
15. Al-Furūq fī al-lughah, li-Abī Hilāl al-'Askarī, al-Ḥasan ibn 'Abd Allāh ibn Sahl, edited by Jamal Madghmash, Al-Risala Foundation, 1422 AH.
16. Al-Qirā'āt al-Qur'ānīyah – tārikhuhā, thubūtuhā, ḥijythsān al-'Arab, Muḥammad ibn mnzwrā, w'ḥkāmuhā-, 'Abd al-Ḥalīm Qābah, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1999 AD.
17. Qawā'id al-tafsīr – jam'an wdrāst-, Khālīd al-Sabt, Dar Ibn Affan, Cairo, 1426 AH.
18. Al-Qawā'id al-ḥisān li-tafsīr al-Qur'ān, 'Abd al-Raḥmān Āl Sa'dī, Al-Rushd Library, Riyadh, 1420 AH.

19. Al-Kitāb, li-Sībawayh, 'Amr al-Ḥārithī, edited by Abd al-Salam Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 1408 AH.
20. Lisan al-Arab, Muhammad ibn Manzur, Dar Sadir, Beirut, (n.d.).
21. Mukhtaṣar al-'ibārāt li-mu'jam muṣṭalaḥāt al-qirā'āt, Ibrāhīm al-Dawsarī, Dar al-Khadhara, Riyadh, 1429 AH.
22. Al-Madkhal ilā al-Furūq al-uṣūliyah wa-al-muṣṭalaḥāt wāltqāsym, Muḥammad al-Jīzānī, Dar Ibn al-Jawzi, Dammam, 1440 AH.
23. Al-Miṣbāḥ al-munīr fī Gharīb al-sharḥ al-kabīr, Aḥmad al-Fayyūmī, edited by Adel Murshid, (n.d.).
24. Mu'jam al-Udabā' Irshād al-arīb ilā ma'rifat al-adīb, Yāqūt al-Ḥamawī al-Rūmī, edited by Ihsan Abbas, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1993.
25. Mu'jam Maqāyīs al-lughah, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā, edited by Abd al-Salam Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH.
26. Maqālāt fī 'ulūm al-Qur'ān wa-uṣūl al-tafsīr, Musā'id al-Ṭayyār, Tafsir Center for Qur'anic Studies, Riyadh, 1436 AH.
27. Nuzhat al-a'yun al-nawāzīr fī 'ilm al-wujūh wa-al-naẓā'ir, 'Abd-al-Raḥmān ibn al-Jawzī, edited by Muhammad al-Radhi, Al-Risala Foundation, Beirut, 1404 AH.
28. Naṣb al-Rāyah li-aḥādīth al-Hidāyah, Abū Muḥammad Allāh ibn Yūsuf al-Zayla'ī al-Ḥanafī, edited by Muhammad Awwamah, Dar al-Hadith, Dar al-Qibla for Islamic Culture, Jeddah, and al-Rayyan Foundation, Beirut, and Makkah Library, first edition, 1418 AH/1997 CE.